

ليست كل الحروب مواجهة مباشرة بين جيوش، فبعضها صراع إرادات يُدار بالصبر والعقيدة وإعادة تموضع القوة. وفي منطقة تتصاعد فيها التوترات وتتشابك المصالح، تبدو إيران نموذجًا لدولة أعادت تعريف علاقتها بالحرب بعد تجربة قاسية شكّلت وعيها الاستراتيجي ماذا قالت الحروب عن إيران؟

فقد مثلت الحرب العراقية الإيرانية نقطة تحول مفصلية، إذ خاضت طهران حربًا امتدت لثمانية سنوات، استنزفت فيها الموارد والقدرات دون تحقيق حسم واضح، لتخرج منها بإدراك عميق مفاده أن كلفة المواجهة المباشرة قد تتجاوز مكاسبها، وأن الاستمرار في هذا النمط قد يهدد الاستقرار الداخلي قبل تحقيق أي تفوق خارجي.

هذا الإدراك لم يبقَ في إطار الدرس النظري فقط، بل انعكس على إعادة تشكيل العقيدة الاستراتيجية الإيرانية، حيث اتجهت تدريجيًا نحو نمط أكثر مرونة وتعقيدًا وأقل تكلفة في إدارة الصراعات، قائم على الحروب غير المباشرة وتوسيع دوائر النفوذ الإقليمي. وفي هذا السياق، عززت إيران حضورها في عدد من بؤر التوتر، فبرز تأثيرها في لبنان وسوريا والعراق بعد عام 2003، وكذلك في اليمن، لتتحول من خصم تقليدي ظاهر في ساحة المواجهة إلى فاعل يتحرك عبر مساحات غير مرئية، يدير الصراع من خلف المشهد أكثر مما يظهر في واجهته. كما تعتمد طهران في هذا النهج على استراتيجيات أدوات متعددة، تجمع بين الدعم المالي والعسكري، وتقديم التدريب ونقل الخبرات، إلى جانب بناء شراكات طويلة الأمد مع حلفائها لضمان استقرارها الخارجي في المنطقة، بما يضمن تحقيق تأثير استراتيجي ممتد دون الانخراط في مواجهة مباشرة واسعة النطاق تفرض عليها الخسائر. غير أن هذا التمدد الخارجي لا يعكس بالضرورة واقعًا داخليًا مستقرًا؛ بل يعكس صورة واضحة لاقتصاد تحت ضغط إذ تشير المؤشرات الاقتصادية إلى ضغوط متزايدة، حيث بلغ معدل التضخم نحو 32.5% لعام وسط بيئة نمو اقتصادي محدود واستقرار نسبي في مستويات الدخل، الأمر الذي أدى 2024، إلى تآكل القوة الشرائية وارتفاع تكلفة الدعم والإنفاق الحكومي، بما يشكل ضغطًا مباشرًا على الموازنة العامة ويزيد من تعقيد إدارة السياسة المالية. في حين سجلت البطالة حوالي 7.4% في عام 2025، وهو ما يعكس تحديات معيشية واقتصادية تتطلب توازنًا دقيقًا بين الطموح الخارجي والاستقرار الداخلي.

وعلى المستوى الدولي، تتحرك إيران ضمن شبكة علاقات معقدة، إذ تعزز تعاونها مع روسيا والصين في مجالات متعددة، في مقابل استمرار التوتر مع الولايات المتحدة، بما يحمله من عقوبات وضغوط سياسية، وهو ما يضعها في موقع يتأرجح بين السعي لكسر العزلة ومحاولة فرض حضور مؤثر في النظام الدولي.

ورغم تصاعد التوترات في المنطقة، لا تشير المعطيات إلى اندفاع إيراني نحو حرب شاملة، بقدر ما تعكس استمرار النهج ذاته القائم على إدارة الصراع دون الانخراط المباشر فيه، مع الحفاظ على جاهزية عسكرية ورسائل قوة محسوبة. وفي هذا الإطار، تبدو الحرب بالنسبة لإيران خيارًا مؤجلًا أكثر منه هدفًا قائمًا، وأداة تُستخدم ضمن حسابات دقيقة لاختبار التوازنات لا لكسرها.

وفي المحصلة، تكشف التجربة الإيرانية أن الحرب لم تعد مجرد ساحة مواجهة، بل أصبحت معادلة مركبة تُدار بعناية، حيث لا يُقاس النفوذ فقط بما يُحسم في الميدان، بل بما يُبنى في الظل. ومن هنا، يمكن القول إن إيران لا تتجنب الحرب ضعفًا، ولا تسعى إليها اندفاعًا، بل توظفها كاحتمال دائم في استراتيجية أوسع عنوانها: البقاء والتأثير دون الانهيار.

مريم صلاح